هروب من القدر..

بقلم: مروان أبي عاد
www.esoteric-lebanon.org

هارب من القدر، أعدو، أسابق الزمن!
هارب من القدر، أجري خلف الأيام!.. أركض، أخاف أن يمسكني القدر ويغرز براثنه فيَّ!
خائف من القدر وكأني أخشى حيواناً مفترساً، أو وحشاً هائماً في الطرقات!
أهرب، فيلحقني القدر إلى كل مكان..
ابتعد، فيتبعني كظلّي، يُظلم ما حولي..
أركض، لكنه دائماً أسرع من خطواتي..
يسابقني إلى حيث أبغي أن أصل.
أينما ذهبت أجده. أينما رحت أراه..
أراه في السعادة، في الشقاء، في الحب، في الكره، في الحياة، في الممات، في الوجود، في الفناء، وفي كل مكان.. مع كل نفس أتنفسه، مع كل آهة أصعدّها، مع كل شروق شمس ومع كل غروب، في نفسي وخارجها.
أما من وجود من دون وجود القدر؟!
أما من حياة من دون القدر؟!
أما من سعادة من دون أن يوجدها القدر؟!
الظلم قدر، والعدل قدر، الحب قدر والكره قدر، العطاء قدر والأخذ قدر، الإنسان قدر والدرب قدر.. البداية والنهاية، المصدر والهدف، الخلق والخليقة! كلها قدر والقدر كل هذه الأشياء.
ألا أستطيع أن أكون من دون القدر ولو للحظة؟
لكن، هل أستطيع أن أهرب من مصير أنا رسمته؟
أأهرب من ظلي؟.. وهو ظلّي أنا.. وجودي أنا!
أأبتعد عن القدر والقدر هو نفسي؟.. هو الإنسان وكل ما يحويه، هو الوجود والوجود إنسان وكون وإله!
أأصم أذنيَّ عن سماع الصوت وأرضى بالصدى؟ وهل كان الصدى لولا الصوت؟!
أأخفي وجهي عن رؤية الانعكاس؟.. والحقيقة أنا!
غريب هو أنا.. غريب من يقبل بالمسار ولا يقبل بالمسير!
كيف لي أن أرضى بوجودي وأرفض وجود القدر؟.. ووجودي والقدر واحد!!!
أأعشق العطر وأكره الزهر؟
لمَ أرنو إلى الأفق، وأخشى المسافات؟
أأصبو إلى التحليق وأهاب الارتفاع؟
كيف لي أن أخشى القدر والقدر حياتي؟!
كيف لي أن أهرب من قدري، من نفسي؟!
مَن ذا الذي يستطيع الهروب من نفسه؟.. ضياع ما بعده ضياع!
القدر هو وجودي، هو أنا، هو الإنسان!..
رسمه موجد الإنسان، وينفذه الإنسان.
أقرّه الخالق، ورضي به الإنسان. هو مشيئة الخالق في أن يصل الإنسان إلى أسمى سماء.. هو غبطة الإله في أن يرى مخلوقه يتسامى نحو الصفاء.. هو ناموس التطور وقانون الارتقاء!
أأهرب من المشيئة الإلهية؟.. وما أنا سوى جزء ضئيل من هذه المشيئة.
أأخشى هذه الرغبة السماوية، وما أنا إلا منفذ هذه الرغبة؟ أم أعارض الناموس، وما الناموس سوى نظام هذا الوجود الأعظم!
هو القدر قدر الخلق، قدر الوجود وقدر التطور!
هو القدر الأكبر، قدر الإنسانية جمعاء.. لا المصير الأصغر، مصير البشرية التائهة!
والفارق بين هذا وذاك، أن الأول هو عدل الرب الخالق على الأرض.. والثاني هو ظلم الإنسان لنفسه!
قدر الإنسانية هو حرية اختيار الأفضل.. ومصير البشرية نتيجة سوء الاختيار!
فانعم علينا يا إلهي بالبصيرة، لنرى الأشياء على حقيقتها!